

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[440] الآيتان وَإِنْ تَطِيعُوا أَمْرًا كَثِيرًا مِّنَ الْأَرْضِ يَصْلَوْكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. وَإِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ 116 إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَصْلِيهِ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ 117 التفسير نعلم أن آيات هذه السورة نزلت في مكة، يوم كان المسلمون قلة في العدد، ولعل قلةتهم هذه وكثرة المشركين وعبداء الأصنام كانت مدعاة لتوهم بعضهم أنَّهُ إذا كان دين أولئك باطلا فلم كثر أتباعه؟! وإذا كان دين الإسلام حقاً، فما سبب قلة معتنقيه؟ ولدفع هذا التوهم يخاطب الله نبيّه بعد ذكر أحقية القرآن في الآيات السابقة قائلاً: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله). وفي الجملة التالية بيّن سبب ذلك، وهو أنَّهُم لا يتبعون المنطق والتفكير السليم، بل هم يتبعون الظنون التي تخالفها الأهواء والأكاذيب ويمتزج بها الخداع والتخمين: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (1).

1 - "الخرص" هو كل قول أُطلق عن ظن وتخمين، وأصله من تخمين كمية الثمر على الأشجار عند استئجار البستان، وأمثال ذلك، ثم أُطلق على كل ظن وتخمين قد يطابق الواقع وقد لا يطابقه، والكلمة تسعمل في الكذب أيضاً، وقد تكون في الآية بكلاً المعنيين.